شيركو بيكه س في ديوان

أنت سحابة.. فأمطرك

د. محمد ابو خضير

يتأسس الوعي الشعري –الكتابي لدى الشاعر (شيركو بيكه س) بالنفاذ الى (طروس) الانثرولوجي والشفاهي والتاريخي المدون لتتأسس آنية النص على استجماع الواقعة في فضاء جمالي جامع لمنظومة فنية/ تعبيرية في رؤية تكافئية بين التأريخ والنص الشعري ليكون المتلقي أمام مستوين من النص:

١-الواقعة التاريخية التي دونت بدلالاتها الشفاهية في المخيال الشعبي.

٢- صدية التخليق والاسلبة الجمالية بسرد الحدث/ التاريخ من منصة نصية لاحقة.

شيركو بيكه س

وينهض النص وفق ذلك على (نسق من التكافؤات) (جاكوبسن) الفنية والجمالية ذلك ان النص الحداثوي . يبحث فيه الانتروبولوجي وعالم الاجتماعي واللساني وغيرهم . لأن الاقتصار على مقاربة واحدة يؤدي الى تأويل واحد وفق (مكيال دوفران).

وفي نصوص الشاعر (شيركو بيكه س) المفتتح ألنصري على بنية السيناريو السينمائي يؤثر به وعبره زمكانية الأحداث لتدخل الكاميرا راصدة للأشياء ودلالاتها لتأتي المنظومة الصورية حاملة للشخوص وأفعال الإداء الحركي.

ففي نص (المرأة والمطر) تتسع الرؤية البصرية من الساكن الى الحركي – فالحدث واقع في محطة للقطار في (ستوكهولم) لنبصر بعدها وصول قطار (الألفين) ليتم وصف القطار بلقطات خارجية ومن ثم الدخول الى مكوناته وجلوس ركابه وأزيز عجلاته فيما بعد يأتي وصف للخارج من الداخل بلقطة معكوسة بما يمر به القطار من جغرافيات طبيعية ومدنية.

وتتقلص الحركة الى لقطة السارد الشاعر وهو يكتب نصه لينتهي بدخول (المرأة) الى كادر المشهد وفيه يتم (منتجة) الحدث عبر تقنية التلاشي او الإطفاء وهو تعادل تضادي للمفتتح السردي/ الصوري:

قطار الألفين يهتز ببطأ
ويتحرك رويداً صوب الجنوب
في وسط ضباب رقيق . أرق من الحجاب الأبيض لغرف
البيوض في الخارج
رؤوس وأعناق وقامات وأيد وأصابع للمودعين...
تتسارع داخل المعاطف
مع تسارع عجلات القطار
تبدو وكأن العاصفة تخطفهم. ص/ ٤٣,

وتتكرر دلالة المستهل النصي الزمنية في نص (التلوي) مستنداً بفعل مركزي (بحث) وهو فعل يرسل دلالات سمعية بصرية في فضاءات الغربة والاغتراب عبر تكرارات تثليثية.

أيتها الأرض الغير مكتشفة التي يسكنها الرب
ابحث عنك
ابحث عنك
ابحث عنك. ص/ ٩٨

ويتراسل المتلقي مع مدخرات النص السمعبصرية من تقابل وتكافيء:

لو رفعتم ألالفته
لإنهارت هذه المسرحية
ومن يقول... ومن يقول... ومن يقول
ومن يقول... ومن يقول... ومن يقول
ومن يقول... ومن يقول... ومن يقول. ص/ ٩٥

ان الروي عبر الملفوظ/ الشفوي الاستفهامي هو جواب لرؤية السارد المضاد (فالصوت هنا هو العنصر الجامع للأضداد)

ويتواصل فعل البحث الى نص (أنت سحابة... فأمطرك) بثنائية تقابلية/ تقارب. تباعد:

فيما ابحث عن عين ماء..... باعدت
المحيطات من نفسي
فيما ابحث عن مطر ما..... باعدت
صفاء السماء
فيما ابحث عن طفل.... باعدت الكبار.

ص/ ١٠٩,

وعند (زليج. س. هاريس (١٩٠٩-١٩٩٢) ان (للنص بأكمله على مجال ذي بعد ثنائي. يمثل المحور الأفقي فيه فئة التكافؤ في الجمل المفردة والمحور الرأسي الجمل المتتابعة ولا يتعلق الأمر في ذلك بترتيب مجدول لأبنية الجملة (السماء . الأفعال.. الخ) بل الورود المخطط لفئات متكافئة عبر النص)

ودلالة الغربة في البلد البعيد عن (كردستان) موضع مفاضلة بين (ألهنا) و (ألهناك) . فالذات في حوار مع ذاتها بحضور الغائب/ المغيب (كردستان). وتتناظر أفعال البحث في المبتدأ أفعال الحصول على ما هو موضع البحث.

فالضياع مهيمناً حضورياً حيال العودة الى الوطن:

ذلك الجرح الذي منح آلامي تعشيشاً
ورقص في عرس شوكة آهاتي
ذلك الجرح هو الغار وهو المجرى
ذلك الجرح الذي هو عابر السبيل وهو المسك
يا كوردستاني!. ص/, ١١١

وفي نص ملحمة (مامه ياره) تتألف منظومة نصية وتجنيسات مختلفة بدءاً بدلالات شفاهية وإنشائية وترتيلية وما ترسله من تناميات ومفتتح النص الدرامي وفعل الجوقة لدى الأغارقة.

فثمة دلالة زمكانية يتثبت منها المتلقي منذ البداية لتكون حاضنة للفعل الملحمي (جبل بوتان/ شهركولان/ ايلول) وفيه يتداخل/ يتكافأ مع بنية الحكايات العجائبية . بنزول (كاله مه م) من غيمة على قمة تل باحثاً عن حبيبته (خاتوزين) وتلحق بشفاهية النص دلالات الإنشاد والمنولوج والأسماء والوقائع التاريخية والسياسية والدينية في (كردستان) فهناك القائد (نجيب باشا) والثائر (احمد باشا) وإمارة (بابان) الكردية والباب العالي.

ويقوم النص على تشطير بين التاريخ والصور الفنية (وإذا كانت الشخصيات الفعلية . ومصدرها الوثائق المكتوبة تتحول الى شخوص متخلية وهي تشاطر الشخصيات المتخيلة الزمن الذي تعيش . فان الشخصيات الأخيرة وهي تشهد على حدث تاريخي تبدو بدورها شخصيات واقفة).

ويتراسل الراوي العليم مع صوت تنامى في دور صوت إنشاد الجوقة الإغريقية من وصف للمعركة وأبطالها:

ياره الجريح
ياره العاشق
انه يسير
فوق ظهر جواده
والحبال مشدودة على جراحه
ونسمة باردة
تهب من الجنوب. ص/ ,١٩٧

ولان البطل الملحمي لم يتحرر بعد من محمولات ودلالات القرينة الطبيعية . فثمة مشابهة بين أسر (ماما ياره) وما يخلفه من صورواشكال:

تبكي بصمت (ماما يارة)
حين طلع النهار كانت أدخنة أنفاس
السهول والجبال تدور وتدور/ حول
نفسها في سماء ساكنة برونزية اللون
من بعيد ومن قريب.
كان جسر (كويه) شهيداً يسيل الدم
من كفن الأعشاب الصفر.
والتبون المتراكمة فوق جثمانه. ص/ ,٢٠٠

ويأخذ الحوار في تنشيط البنية الدرامية منها والسردية فالرصد السينمائي في محاصرته التصويرية لوقائع المعركة وما بعدها ينتهي بتقديم (مما يارة) الى المحكمة أمام (نجيب باشا) الا ان روح (ماما ياره) تعود منبعثة مع كل دورة حياة (نوروز) وهو ما يتناص وبنية الأساطير والملامح في نهايتها الدائرية.

ويستهل نص ملحمة (به رده قاره مان) بتناص مباشر والنصوص الملحمية . فثمة إشارة ظرفية/ زمكانية تنسحب عليها عدسة الكاميرا السينمائية بلقطة عمودية لتتأسس/ تتوالى من بعد لقطات ذات مستويات متوسطة وبما يمكن إدراج المشهد الافتتاحي وفق آلية وتجنيس السيناريو:

- ليل/ خارجي
- المكان/قمة (س كه وانا)
- لقطة عامة.

وترتد الكاميرا من قمة الجبل الى سهل (بازيان) وينبوع (كاني شه يتان) وترتفع الى قمة جبل (بيره مه مكرون) ثم غابة الصنوبر/ لتنتهي بلقطة متوسطة الى شجرة الرمان والكمثرى . ويرفق ذلك بمؤثرات تبدأ بنسمة الجنوب الثلجية ورواتح وثغاء الأغنام وصهيل الجياد وعواء الكلاب مع لغط وثرثرة آتية من معسكر بعيد . ويقفل النص بلقطة كتابية..... نقاط لتبدأ لقطة كتابية تالية وتنفتح الأنساق السمعبصرية على مشهدية ملحمية عمادها إشتباك الجيشين وتتوارد قبل ذلك لقطات الاستعداد الحربي عبر غلق الممرات والمضايق مع لقطة مطولة عند مضيق (بازيان) الممر الوحيد نحو كردستان.

ويذهب السارد/ المصور الى معسكر الجيش الإنكليزي واضعاً مصوراً القائد الإنكليزي المجرب (الذئب الاسقر) لخلق تكافيء و (الشيخ محمود) وتجواله بين جنوده ويتعزز النسق الملحمي بأوصاف الملاحم الإنسانية والقومية وقبلها النصوص الرعوية:

فالشيخ يتحرك
كأسد هائج
فوق منسوجة بيضاء وسوداء
بقامة قوية متينة
كجذع شجرة جوز
هيجان الربيع هيجان رجولته. ص/ ,٢٣٤

وثمة تقابلي/ تكافئية تنوب بها آليات الوصف عن تسجيلية الكاميرا بما عرف من تقديم بصيغة (أنا) في ساحات النزاع والمعارك التاريخية وهي دلالة شفاهية راكزه في الذاكرة والمخيال الشعبي:

فرايزر هو رجل طويل
نحيل كما كلب الصيد
رجلاه شبيهان برجلي مالك الحزين
شعره صوف
ولون جلده أبيض وأحمر. ص/ ,٢٣٤

كما يعتمد النص تنامياً وما سطره المخيال الشعبي والمضمر الانثرولوجي في وصفه لحصان (الشيخ) العائد دون فارسه الذي سقط في ساحة القتال واثر ذلك فيما يحيطه من حوادث وهو دال ملحمي/ ديني:

تنبت في هذه الأرض خمسون شجرة صنوبر
وتنبطح خمسون نجمة
وتندثر خمسون أغنية
وتموت خمسون سنبلة
ويتخثر خمسون جدولاً من المياه الدامية. ص/ ٢٧٨

ويعرج النص الى حفر (طرس) يتناص تاريخياً ما يقوم به (مشير) من خيانة لـ (الشيخ محمود) وما فعله (افيالد) في معارك الكرد التاريخية القديمة.

والنص الشعري في تسجيلية تناصية للأحداث بعد ستة عقود مما يبرر إحتشاده بالواقعة/ الوثيقة/ الذاكرة/ الوصف/ التأرخة/ والروي.

ويتناص نص (ببا) تناصاً ذاتياً في استهلاله السمعبصري بصورة مكبرة تتحدد بها زمكانية الحدث . فالسارد العليم في استرسالية لرسم الحدث. فثمة ليلة شتائية تتوقف الكاميرا في إبراز معالم تمثال لتنتقل بمفارقة صورية الى داخل المقصف بعد تراكم تسجيلي لإمتدادات الشارع . يقابل السارد (ببا) المرأة السويدية مما يدفعه الى حرث ذاكرة حيال بلده (كردستان) مستذكراً قلعة (شيروانه).

ويتم انسحاب الكاميرا الى صورة بديلة لعرض جملة مرئيات/ حركية/ بصرية:

يدان مشعرتان
يدان ناعمتان
وبعد نخبين
خمسة أصابع لي
وخمسة أصابع لها
تشتبكان في بعضها
وفي اللحظة ذاتها
عشرة أصابع
ترفع كأسين معاً الى
مستوى الأعين. ص/ ٣٥٧

ويبدأ فعل التناظر/ التكافيء مبكراً في عنوان نص (عاصفة متهورة وصباح جديد) اذ ينساق النص الى مشاطرة بين الحلم واليقظة. فالعاصفة في صلب فضاءات الحلم غير أنها تتوقف بصحوة (صباح جديد) حين ينتفض الشاعر/ السارد على قوامعه الحياتية (العاصفة) اثر سيادة واستبداد لون واحد/ فكر واحد:

لأنني قلت: بضع شموس لهذا المحيط
لأنني دعوت لبياضي
لم يكن الا مظهراً...
لأنني قلت:
منذ أمد طويل أنا أسير داخل لوني
أنا خرجت من زاوية التابوت الذي
كنت فيه. من ص/ ٤٠- ٤٠٣

ويسير الفعل السردي على تحولات في الأفعال والأفكار والمواقف والصور يتقارب بها الواقعي –ألعجائبي والساسيو- ساكيولوجي وفق بنية سردية عمادها الوقفة. المشهد. التحول/ الانقلاب والتدوير ألحدثي/ الملحمي بأسلوبية التكرار.

مجلات — عرض المدى الثقافي

سينما ومسرح.. تميز في الشكل والمضمون

صدر عن دائرة السينما والمسرح العدد الثاني من مجلة (سينما ومسرح) الذي تميز كثيراً عن العدد الاول في شكله ومضمونه وطباعته مما يؤشر الى امكانية تطور هذه المجلة الوليدة لكي تصل الى مستوى المجلات النظيرة محلياً وعربياً اذا توفرت لها امكانات اوسع واكبر سواء على الصعيد المادي ام على صعيد استقطاب المزيد من الكتاب والمتخصصين المعنيين بفنون السينما والمسرح خاصة والفنون الساندة عامة..

تضمن هذا العدد جملة من الموضوعات تصدرتها الافتتاحية التي كتبها السيد رياض المرسومي مدير عام الدائرة ورئيس مجلس الادارة وكانت بعنوان (خدمة لوطننا العزيز... على الفنان ان يعمل ويجتهد لايصال رسالته النبيلة) في حين قدم صلاح محمد صالح (لمحات عن تأريخ السينما العراقية(..

اما الفنان كاظم النصار فقد نشرت له المجلة حواراً كان قد اجراه مع الفنان الكبير بدري حسون فريد قبل هجرته بأشهر قليلة وفيه يكشف عن مرجعياته ومنهجيته وايمانه وحسبما اكد النصار في حواره الذي جاء تحت عنوان (الفنان الكبير بدري حسون فريد: هناك ازمة اصوات عراقية وعربية وانا لا انفذ النص انما اتخيله) فقد وجده - اي الحوار - مازال طازجاً وساخناً..

كما نشرت المجلة عرضاً لكتاب الفنان الكبير بدري حسون فريد (قصتي مع المسرح) الذي صدر عن دار الشؤون الثقافية قبل مدة بمجلد اول ومن المؤمل ان تليه مجلدات اخرى.. وكان هذا العرض للكاتب جواد وادي وجاء تحت عنوان (الرائد المسرحي بدري حسون فريد وقصته مع المسرح) اضافة الى حوار مهم مع الفنان القدير سامي عبد الحميد عرض فيه جملة من الامور الخطيرة والحساسية وشمل العدد موضوعات اخرى بينها حوار مع الفنان عبد الجبار الشرقاوي اجرته سناء العبيدي الذي اكد فيه ان المسرح العراقي ينهض بنهوض العراق..

اضافة الى استطلاع عن رحيل الفنان خضير الساري رئيس اتحاد المسرحيين وموقعه في ذاكرة الفنانين العراقيين واستطلاع اخر مع مجموعة بعنوان من الفنانين اخر ماذا يعني لك الفن..؟

وكتب الفنان محسن العزاوي مقالة تحت عنوان (اجيال المسرح عطاء لا ينضب) تناول فيها قضية حساسية ومهمة واهمية التواصل بين اجيال المسرح من اجل ديمومته ورقيه..

ونقرأ في العدد ايضاً تحقيقاً عن علاقة الفنان بالفضائيات اجرته وسن عبد الله العبدلي. اما الزميل عبد العليم البناء فنقرأ له موضوعاً عن مهرجان السينما العربية في روتردام التي انعقدت دورته السابعة بين الثالث عشر والسابع عشر من شهر حزيران الماضي.. كما نقرأ بحثاً للفنان جمال الشاطىء عن (مسرح الستين كرسي بين الحاجة وعالمية التجربة) اضافة الى بحث اخر لعباس الركابي تحت عنوان (المسرح العراقي الى اين؟) ويختتم العدد بمقالة رئيس التحرير عباس الخفاجي التي جاءت تحت عنوان (الفنانون سفراء العراق).. اما غلاف المجلة الاول فضم صورة معبرة وجميلة للفنان علي عيسى عن مسرحية (حريق البنفسج) للفنان حيدر منعثر والغلاف الثالث عن احدى مسرحيات الفنان الراحل محسن الشيخ راضي في ذكرى رحيله في حين حمل الغلاف الاخير صورة من عمل (صحراء الشلب) المسرحية التي فازت بمعظم جوائز مهرجان اغادير الدولي لمسرح الجسد في المغرب وتكريم المدير العام للدائرة لفريق المسرحية وكلا الغلافين الاخيرين بعدسة الفنان علي عيسى ايضاً..

صدور العدد الآول من " أدب فن "

عن "دار أدب فن" للثقافة والفنون، صدر العدد الأول (آب-أغسطس) من مجلة "أدب فن" الثقافية الشهرية. حيث تطبع في مصر وتوزع في بعض الدول العربية والاوروبية.

ضم هذا العدد (١٦٠ صفحة من الحجم المتوسط) أبوابا في الشعر والنثر والقصة والتشكيل والمسرح والنقد والمذكرات والترجمات والمتابعات الثقافية. حيث ساهم فيه مجموعة من الكتّاب والفنانين العراقيين والعرب:

وقد جاء في كلمة التحرير:

(تنطلق "أدب فن" كونها مجلة مطبوعة، بعد مضي عام على تأسيسها عبر الانترنت كجسر ثقافي يجمع الغرب بالشرق. وتهتم وتحتفي بالنص الأدبي والفني إن كان عربياً أو غربياً. الشرط الإبداعي هو من أهم شروطها. وسنوفر مساحة لا بأس بها للترجمات التي نتواصل عبرها مع كُتّاب الشعوب الأخرى ونطلع على آخر الفعاليات الأدبية والفنية، وندعو إلى رفد المجلة بآخر الإصدارات والمؤلفات للكتابة والتعريف بها بأقلام كُتّاب متخصصين.

كما تطمح أدب فن، في نفس الوقت، أن تصبح واحةً للكتابات الفكرية، المُتعلقة، إذا جاز التعبير، بالمنتج الأدبي-الفني، وليس التنظير العام الذي يقف خارج ميدان ممارستها، كالسياسة، الدين، الفلسفة المحضة، أو التدليج الأعمى والبصير الذي يتخطى الحماس الأدبي الفني، وبالتالي يتخطى حماس الأفراد الذين يحتضنون المجلة. (هنا أيضاً شرطها ضمني، أي أنها لا تتلقى المواد ومن ثم تقوم بنقلها للناس، تحت ذريعة "المقالات تعبر عن وجهات نظر كتابها". لا. جميع الإبداعات التي يتم نشرها في أدب فن، والتي لا نطمح بأن تكون معادة النشر، تعبر عن روح كتابها كما تعبر عن روح أدب فن.)

في باب النقد يكتب الدكتور فاضل السوداني دراسة تحليلية بعنوان غاستون باشلار .. والتباس التأملات الشاردة، في ظاهراتية الصورة الشعرية. أما في باب المسرح يكتب الفنان د. حازم كمال الدين موضوعة نقدية وتحليلية عن قيمة العرض المسرحي وماذا يقدم للمتلقي، بعنوان "غجر عرب". ويكتب الفنان حسن بلاسم موضوعا نثريا ثريا بالدلالات والايحاءات الأدبية والفنية. ويقدم الكاتب قاسم طلاع ترجمة أعمال مختارة للشاعر النمساوي توماس بيرنهارد.

وفي باب الشعر تنشر المجلة قصائد للشعراء:

هاتف الجنابي في قصائد بعنوان (من أنثروبولوجيا العائلة) ومروان ياسين الدليمي في (إمضاءة الأزيز فوق جفني) وعيسى حسن الياسري في (لأن له) وعبد الوهاب الملوح في (قاطع طرق) وكلالة نوري (لكنه رجل طيب) وعبد الكريم كاصد في قصائد (قصائد عن البصرة) وكريم ناصر في (قصيدتان) وعبود الجابري (غيوم ورقية).

أما في باب القصة تنشر القصص التالية:

حياة الرايس في (طقزس سرية وجحيم) وابراهيم درغوثي في قصص (متاهات) و (صبي مرتبك ..) لرشا فاضل وبولس آدم في (عشر قصص قصيرة جدا).

في باب الفن التشكيلي يكتب الفنان والناقد التشكيلي خالد خضير الصالحي مقالاً نقدياً عن الفنان التشكيلي العراقي الراحل شاكر حسن آل سعيد بعنوان (شيئية اللوحة.. ولغة التصوف..). ويكتب الناقد عدنان المبارك موضوعا بعنوان (من يومياتي) يقدم فيها رؤيته لأعمال الفنان الاسباني خوان ميرو.

نادين غورديمير: من هو الإنسان في الجنس البشري؟

ترجمة د. سندس فوزي

تكرس الكاتبة الجنوبي أفريقية نادين غورديمير المناضلة السابقة في الكفاح ضد نظام التمييز العنصري والحائزة على جائزة نوبل للآداب رواياتها الأخيرة لمعركتها من أجل البيئة وتعيد التأكيد على ضرورة هذه المعركة بكل ما أوتيت من قوة وتهكم.

هيئة رقيقة وضعيفة، صوت ومزاج صلبان بشكل واضح. لازالت نادين غورديمير ذات الثلاثة وثمانين عاماً تحتفظ بكل القوة التي استطاعت بها أن تفي بالتزاماتها وأن تكتب أعمالها. ناضلت زمناً طويلاً ضد نظام التمييز العنصري في جنوب أفريقيا دون أن تترك بلدها. هذه الكاتبة الجنوبي أفريقية والحائزة على جائزة نوبل للآداب لعام ١٩٩١ حاولت أن تقرن دوما في رواياتها العشر وقصصها القصيرة (أكثر من ٢٠٠) بين التوترات الخارقة التي تحصل في مجرى التاريخ وبين الأقدار الحميمة للبشر.

بل إنها تواصل الكتابة اعتمادا على هذه الأسرار الصغيرة وتكتب في الغالب بلغة تختارها حذرة عمدا إلا إنها لغة على شيء من المواربة والغموض وبما يكفي لزعزعة القاريء وجعله يشك بالثوابت البسيطة. وفي الحقيقة لا شيء يقلل من شدة انجذابها إلى ما يجعل الحيوات الإنسانية "غريبة وغير متوقعة" سواء كان ذلك بسبب المرض أو الخيانة أو تهكم خاص يسوقه التاريخ أو من خلال كارثة بيئية. وسواء في كتاباتها أو في حواراتها الغير مترابطة تحدد نادين غورديمير في كل مرة كل ما يولد وعيا مفاجئا أو تدريجيا بالذات أو بالعالم. ونشعر أن الرغبة التي تحدو هذه الكاتبة هي خلق توازن في القوى التي توحد الذات بالعالم وتغير مسار الجميع. وهذا ما يوضحه الهامش الذي كتبه الشاعر الانجلو-أمريكي أودين على حاشية روايتها الأخيرة "انهض وتحرك" والتي تركزت حول تساؤلات شاب من جنوب أفريقيا في دور النقاهة يناضل من أجل البيئة وكذلك تساؤلات عائلته ؛ حيث يكتب أودين في هامشه قائلا : "آه!!! أي قوة تلك التي تمنح الوجود دهشته؟".

نادين غورديمير

❖ بقيت أعمالك مرتبطة ولفترة طويلة بالسياق الصعب للأحداث السياسية والعرقية والاجتماعية لجنوب أفريقيا وبالأخص تلك التي حدثت في وقت التمييز العنصري. لماذا نراك في هذه الرواية الجديدة تلتفتين على القضايا البيئية بشكل خاص؟

؟موضوعي الحقيقي ليس الطبيعة أنما هو التعرف على من هو الإنسان في الجنس البشري. إن ما يهمني هو وجودنا والتهديدات الموجهة لهذا الوجود والمتمثلة بالتلوث البيئي على المستوى العالمي وهذا أبعد مما تمثله التغييرات السياسية فالعدو الذي تتوجب محاربته أصبح عدوا عاما فلم يعد الأمر متعلقا بمواجهه بين دول مختلفة أو بادعاءات أيديولوجية مختلفة. إن اضطراب النظام البيئي ينعكس علينا جميعا فنحن جزء منه وهكذا فإن تجفيف الأحواض المتدفقة هو تهديد لمصادرنا المائية في الوقت الذي بدأت تتناقص فيه تلك الموارد تدريجيا. وكذلك أصبحت فكرة بناء المفاعلات النووية فكرة مكتسبة ومقبولة في العالم كله وذلك باعتبارها وسيلة للرد على الطلب المتزايد على الكهرباء وعلى نضوب الفحم الحجري إلا إن الطاقة النووية تبقى خطرة جدا. وبالتأكيد يوجد في كل ذلك تأثيرات سياسية فعلى سبيل المثال في روايتي الأخيرة نرى إن بول وهو شاب مناضل من أجل البيئة يعارض مشروعاً اقتصادياً تنموياً فهو يرى إن هذا المشروع سيكون السبب في تجفيف الحوض المائي لمنطقة بوندولاند في جنوب أفريقيا وذلك مقابل خلق وظائف شاغرة كما إنه سيتم سد الحاجة المتزايدة للكهرباء لكن على حساب بناء مفاعل نووي.

على الرغم من ذلك فأنا لا أملي على الناس ما يجب أن يفعلوه فأنا أكتب رواية وليس منشورا سياسيا. إن موضوع التنمية والتصنيع الذي يتم على حساب التربة التي نطأها والهواء الذي نستنشقه أصبح موضوعا عالميا ولا يمكن حله في رواية. وكما قال ميلان كونديرا فنحن معشر الكتاب لا نعطي الأجوبة إنما نطرح الأسئلة. إنّ أي عمل فني جيد يوضح لكل منا مكانه في هذا العالم وما يعنيه أن يكون الإنسان حيا وأن يعيش في زمن معين وأحيانا في مكان معين.

❖ هل اخترت وبتأثير هذه التعقيدات موقفا روائيا غاية في السخرية والتهكم حينما قدمت أحد مناهضي الطاقة النووية وقد أصبح بشكل مؤقت ومن أجل مصلحته مصدر إشعاع نشيط؟

؟ أجل وإنها لسخرية حقيقية فحياة البشر والعلاقات الإنسانية غير متوقعة إطلاقا! كنت قد بدأت الاهتمام بالمشاكل البيئية حينما سمعت بقصة ذلك الشاب المصاب بنوع خاص من سرطان الغدة الدرقية والذي عولج بتعريضه للإشعاعات التي تستوجب عدم اقتراب كائن من يكون منه ولذا فقد تم عزله تماما سواء في المستشفى أو في منزل والديه وذلك لعدم تعريض عائلته الصغيرة الشابة للخطر. ويا لها من سخرية!!! إنسان مهدد مثلنا من الطاقة النووية يصبح هو نفسه مصدرا لهذه الطاقة ويمثل خطراً يهدد المقربين منه!!!

لكم تأثرت بإمكانية أن يصبح أحدنا ممثلا للعامل الإشعاعي حتى وإن كان قد ناضل طيلة حياته ضده! هذا من غير الحديث عن التمييز العرقي الذي يظهر أيضا في الرواية. فالخادمة السوداء التي جلبها والدي بول كان يجب أن تسرح من الخدمة إلا إنها تختار البقاء معه وكذلك زميله الأسود الذي يستمر بزيارته دون أدنى خوف. ويشرح له هذا الزميل بأن الأمر ببساطة لا يعدو أن يكون خطرا إضافيا مع الأخطار الأخرى التي كان عليهم تحملها أو التي قاسوها في حياتهم والتي كان من ضمنها التمييز العنصري. ما هي أسس الشجاعة؟ قد تكون المعاناة. فحتى بول أصبح مضطرا أن يمر باختبار حياته وبأن يواجه نفسه : " الحياة التي تمر دون اختبار لا تستحق عناء أن نحياها". هذه الجملة تعبر عن فكرة رائعة إلا إنني نسيت قائلها.

- ختاما هل يعبر مفهوم " النظام البيئي " الذي نجده في روايتك كذلك عن السير الغريب لأحداث الحياة الإنسانية وعن البناء الروائي في أعمالك؟

؟أجل فأنت تلعب دورك في النظام البيئي دون أن تعلم وحتى دون أن تفكر بذلك. فنحن جالسون هنا نناقش ونتحدث إلا إننا جزء مكمل من الكل ودون علمنا ودون وعي واضح بالمكان الذي نحتله وسط ذلك كله. أما الكاتب فيمتلك هوية مزدوجة فهو يشترك في النظام البيئي هذا إلا إنه يسبره أيضا ويعيد تخيله فهو يختار مجموعة من الشخوص ويختلقها ثم يبين لنا كيف يقوم بتنظيمها في لعب أدوارها.

- إذا فالكاتب ينتقل بنا من العالم الكبير إلى العالم الصغير ؛ من العالم إلى الفرد؟

؟يستطيع الصحفي أن يكتب عن مشكلة عامة إلا إن الكاتب يتناولها من الداخل ؛ ابتداءا من الوعي الفردي لشخص ما. فأنت تستطيع أن تكتب تقريرا عن العواطف والمشاكل النفسية إلا إننا الكتاب سنختار أشخاص وسنبين كيف يقوم كل فرد في حل المشاكل العاطفية التي يواجهها.

عن "لوموند ديه ليفر" الملحق الثقافي لجريدة اللوموند
أجرى المقابلة فابين دومونتيه